

## البنوية التكوينية: المبادئ و المرتكزات

## Formative Structuralism : principles and foundations

د. بكرى هشام<sup>1</sup><sup>1</sup> Dr.Bekri Hicham[hi.bekri2018@gmail.com](mailto:hi.bekri2018@gmail.com)

1 قسم اللغة العربية و آدابها، المركز الجامعي أحمد صالحى - النعامة - الجزائر

تاريخ النشر 2021/01/20

تاريخ القبول: 2021/01/08

تاريخ الإرسال: 2020/12/27

## ملخص البحث

لقد قامت البنوية التكوينية على أنقاض البنوية اللسانية، بعدما استلهم غولدمان أفكاره الفلسفية من كتابات أستاذه جورج لوكاتش، و كارل ماكس، و غيرها ممن أثروا في صاحب المنهج التكويني، و نتاجه الفكري، الذي ظهر للعلن بناء على مجموعة من المبادئ، و الأدوات الإجرائية التي جعلت المنهج ينأى بنفسه عن البنوية بصورتها الكلاسيكية، فسلكت مسلكا آخر، جعل منه منهجا مفتوحا يجمع بين الأشكال الأدبية في بناها الداخلية، و البنى الاجتماعية في صورتها السوسيوولوجية التي تعكس بما عبّر عنه غولدمان بالأقوال الذهنية، و ذلك من أجل رصد رؤى العالم، التي تحتكم إلى معيار الوعي الاجتماعي، أو النموذج الذهني الذي تبناه الجماعة. و ضمن هذا المعطى تتعامل البنوية التكوينية مع الظاهرة الأدبية على أساس التماثل، و التناظر بينها و بين الظاهرة الاجتماعية في شقها المتعلق بالوعي الذي يقدم مشروعا يسعى إلى تحقيق مجموعة من التطلعات و الأفكار التي تقود إلى التغيير، أو تأصيل القيمة التي تجود بها الجماعة الواعية، في سعيها الجاد نحو الكشف عن خبايا العالم في مظهره الإيديولوجي، و الفلسفي الذي يرتقي إلى درجة الوعي و العمق الفكري. و على هذا الأساس نقدم هذه الورقة البحثية، لوضع اليد على أهم المبادئ التي ارتكن إليها غولدمان في بنيويته التكوينية، و التي شكلت قوام هذا المنهج.

الكلمات المفتاحية: بنوية تكوينية- رؤيا العالم- تفسير- فهم- دلالة

**Abstract:**

Formative structuralism was raised because of the ruins of constructivism linguistic, after Goldman was inspired his philosophical ideas from the writings of his teacher, George Lukac, Karl Max, and others who influenced the author of the formative approach and his intellectual product, which appeared to the public based on a set of principles and procedural tools that It made the

curriculum separate itself from structuralism in its classical form, so it took another path, which made it an open approach that combines literary forms in their internal structures, and social structures in their sociological image that reflect what Goldman expressed with mental sayings, in order to monitor the visions of the world that govern To the standard of social awareness, or the mental model adopted by the group. Within this context, the formative structuralism deals with the literary phenomenon on the basis of symmetry, and the analogy between it and the social phenomenon in its part related to consciousness that presents a project that seeks to achieve a set of aspirations and ideas that lead to change, or the rooting of the value that the conscious community possesses, In its earnest endeavor to reveal the secrets of the world in its ideological and philosophical appearance, which rises to the level of awareness and intellectual depth. On this basis, we present this research paper, to lay the hand on the most important principles on which Golmadman relied in his formative structure, and which formed the basis of this approach.

**Key Words :** Formative Structural- World Vision- Explanation-Undstanding-Signification

المؤلف المرسل: بكري هشام، الإيميل: hi.bekri2018@gmail.com

مقدمة:

يعود الفضل في قيام البنوية التكوينية إلى المنظر جورج لوسيان غولدمان من خلال كتابه الشهير الإله الخفي، وذلك بعد أن وقعت البنوية بصورتها الفرنسية المتطرفة في مطب الدراسة المحايثة المغلقة التي لا تسمح بالخروج أبدا عن النص، إلا في إطاره و ذاته و نسقه و نسيجه الداخلي، بعيدا عن كل السياقات و المؤثرات الخارجية التي يمكن أن تحرق قواعد البنوية اللسانية و مبادئها، أو تتجاوزها إلى غير

المقاربة البنوية التي لا تؤمن إلا بتحليل النسق دون سواه.

لقد أرست البنوية التكوينية مبادئها على أنقاض البنوية الكلاسيكية المتشعبة بمبادئ الشكلانية الروسية، خاصة في شقها المتعلق بالدراسة المحايثة، إلا أنها استعانت بالسياق الاجتماعي في إطاره المادي الماركسي، و عليه فإن هذا المنهج يقوم على التوفيق بين الطرح البنوي و الفكر الماركسي، و

بذلك فهي تقوم على مبدئين أساسيين هما: **البنية و التكوين**، فهي تهدف إلى دراسة " المقولة التي تخترق كيان النص باعتبارها رؤية يصوغها النتاج بشكل جدلي، و هي البنية التي يصادفها الباحث أولاً، فتمنحه بطابعها الشمولي فهما أعمق للخلفية الإيديولوجية، والفكرية للمجتمع، أو الفئة الاجتماعية المعبر عنها.<sup>1</sup>

ومن هذا المنظور السوسيو-نقدي، يحاول هذا النموذج النقدي أن يفسر الأدب من وجهة نظر اجتماعية مادية، بناء على العلاقات القائمة بين الإبداع، والمجموعة الاجتماعية في مقولاتها الذهنية، فالنتاج الأدبي أولاً و أخيراً يعكس الوعي الاجتماعي و بناه الفكرية. و عليه فإن البنية و التكوين في اجتماعهما في هذا المنهج، يدرس النص على أنه بنية صغرى تحيلنا إلى بنية أكثر شمولاً و اتساعاً، و هي بنية تعبر عن فهم الجماعة و وعيها، فالعمل الأدبي ليس واقعة فردانية، بل واقعة اجتماعية تستوعب الذات، و عمل الذات و نتاجها الفكري و الأدبي. "الفاعل الحقيقي للإبداع الثقافي هم الجماعات الاجتماعية و ليس الأفراد".<sup>2</sup> و من هذا المنظور النقدي، نطرح الإشكاليتين التاليتين:

- كيف استطاعت البنيوية التكوينية أن تتجاوز المناهج النقدية السابقة، خاصة البنيوية اللسانية؟ و ما هي المبادئ التي ارتككت إليها، و جعلتها منهجاً متفرداً في الطرح؟
- كيف بلورت البنيوية الغولدمانية مفاهيمها، بناء على المرتكزات اللسانية و الفلسفية؟ و كيف جعلتها تخدم المنهج في تعاملها مع المدونة، أو النص الأدبي؟

### **البنية و التكوين: بين الدلالة و الرؤية**

لقد تبلورت البنيوية التكوينية على أساس سوسيولوجي، و مقارنة اجتماعية جديدة، قوامها إدراك البنى الذهنية التي تعكس الواقع الاجتماعي، في محاولة جادة منها للربط بين الوعي و العالم، و بين الشعور الجمعي في مستواه المعرفي الجاد و الموضوع. "و هكذا يكون العمل الأدبي كفعل اتصال في ذاته، من منطلق أن الكلام له مرجعية، و صدى يجعلانه يتجاوز العزلة، فيكون كل تلق هو فعل و نشاط و مشاركة رؤية تجعل من التفاعل الجماعي محور العمل الأدبي المنتمي للجماعة التي أنتجته، و هي علاقة الخلفية الثقافية و الفنية لتلك الجماعة"<sup>3</sup>.. و من منظور هذا الطرح النقدي الجديد، تتجاوز البنيوية التكوينية النقد السوسيولوجي المحض الذي يبحث في الخبايا الاجتماعية في جميع

صورها و حيثياتها، عاداتها و تقاليدھا الجوفاء التي تدنوا إلى الدراسة الانتروبولوجية، أكثر منها إلى الدراسة النقدية التي تعتمدھا هذه المقاربة التوليدية، كما يفضل أن يسميھا كذلك الناقد جابر عصفور<sup>4</sup>. فهي ليست دراسة اجتماعية تتعالى على النص، يخضع لها و لتنتظيراتها. فيكون أثرا اجتماعيا من بعد دراسة، أو وسيلة تتوخى الأبعاد السوسولوجيا. "إن النتاج الأدبي ليس انعكاسا بسيطا للوعي الجماعي الواقعي، و لكنه يميل دائما إلى أن يبلغ درجة عالية من الانسجام، تعبر عن الطموحات التي ينزع إليها و عي الجماعة التي يتحدث الأديب باسمھا. و يمكن تصور هذا الوعي كحقيقة موجهة من أجل حصول الجماعة المذكورة على نوع من التوازن في الواقع الذي تعيش فيه. و هذا يعني أن العمل الأدبي هو تنويج على مستوى الانسجام لمختلف التيارات العائدة لوعي جماعة اجتماعية معينة، و هو ما يعني أيضا أنه إبداع للواقع، و تعبير عنه"<sup>5</sup>. إنها بحث في العلاقة بين البني الأدبية و البني الاجتماعية، فهي ليست وقائع فردية، أو انعكاس بسيط للوعي الجمعي كما سبق و أن أشرنا إلى ذلك آنفا،" و لكنه تعبير راق عن هذا الوعي، بمعنى أنه لا يرتبط بأفكار عامة الناس، و إنما يرتبط بالإيديولوجيا و الفكر النظري الذي يصوغهما الأعضاء الناهجون للجماعة. من هنا تبرز أهمية الوعي الممكن، إذ بواسطته يمكن تحديد الرؤية بشكل جيد و خاصة في الأعمال الكبرى"<sup>6</sup>.

و ضمن هذا المعطى تتوج البنوية التكوينية نصھا باستهداف الرؤية التي تتشكل من خلال أنماط الفهم، و الوعي التي تتحقق في سلوك الجماعة، و أقوالھا، فيصوغھا الكاتب في عمله، باعتباره فردا فاعلا من الجماعة، مراعيًا في ذلك الانسجام، و التطابق بين الأبنية الأدبية و الأبنية الذهنية، لتتوسل التماثل البنائي عبر تيار الوعي الذي يجمعهما في أعلى مستوياته، ليرصد الناقد ما أسماه غولدمان في مقارنته ب: رؤية العالم. "إنھا وجهة نظر و منظومة فكر مجموعة بشرية تعيش في ظروف اقتصادية، و اجتماعية متماثلة، يعبر عنها الكاتب في منظومته، لتمنح دلالاتھا في انسجامها بين البني"<sup>7</sup>. ولكن هذا لا يمنع التحليل التكويني من تضمين البنيات التاريخية و الاجتماعية في الدراسة، "فربط رؤية العالم بالطبقات الاجتماعية، و بالبنيات الذهنية لهذه الطبقات يسمح لمؤلف سوسولوجيا الرواية بتطوير نظرية كاملة عن سمة النتاج و بتحديد ذات الإبداع الثقافي، و بتفسير التأثير الاجتماعي تفسيرا مدققا"<sup>8</sup>.

إن رؤية العالم -إذن- هي نموذج ذهني تتبناه الجماعة الواعية التي تؤمن بالقضية إيمانا معرفيا. "فأي وصف لا يشتمل على نظرة شخصيات العمل الأدبي إلى العالم، لا يمكن أن يكون تاما، فالنظرة إلى العالم هي الشكل الأرقى للوعي"<sup>9</sup> و لو تحققت هذه الرؤية في شخص، أو فرد معين، فإن التحليل التكويني لا يمانع من أن يستقيها من هذه الرؤية الفردانية، حتى و لو تحققت في شخص معين فغولدمان "عندما يتحدث عن مجموعة، عن طبقة اجتماعية، و عن الرؤية التي يلقياها على العالم، فهو لا ينفي بتاتا أن هاته تتحقق بواسطة فرد معين، بصورة خاصة، فهو يكفي بالتأكيد بأن الفرد يتصرف على وجه العموم انطلاقا من نفس البنيات التي تسود المجموعة"<sup>10</sup>. شريطة أن تحمل وعيا معرفيا يمكن للجماعة أن يتبناها أو يستوعبها. و مما لا شك فيه، فإن رؤية العالم من أهم المرتكزات التي تعتمد عليها البنيوية التكوينية، في إسقاطاتها النقدية.

### مرتكزات البنيوية التكوينية:

#### 1 رؤيا العالم:

تعد رؤيا العالم من أهم المرتكزات التي اعتمدها غولدمان في منهجه النقدي، فهي تمثل البنية التي تعبر عن الوعي الذي يحمله المجتمع، و يتبناه النص في شكل قيمة تتجاوز نظرة الفرد، إلى النموذج الذهني الذي يكتسي طابعا إيديولوجيا يشي بمنظومة فكرية اجتماعية لا تقف أبدا عند حدود الأفراد. فهي مفهوم إجرائي تقوم على أبنية عقلية تبلور حكم العقل الجمعي الذي يمثل جوهر التاريخ. و التاريخ صنيعه الإبداع و الرؤية التي يقدمها العالم، فالتاريخ لا يستمد مشروعيته إلا من هذا النتاج، الذي يحقق الدلالة الموضوعية التي "لا ترتبط بالفرد بل بالجماعة، لكن عبر وسائط، وهم الكتاب، و المفكرون، و المثقفون الذين ينقلون رؤية طبقة معينة للعالم، داخل العالم الإبداعي الذي يبدعونه، و تبقى حرية الكاتب هنا، رهينة العوالم الخيالية و التعبيرية التي بينها، لتحتوي تلك الرؤية (رواية، مسرح، قصة، إبداع فكري، فلسفي..)"<sup>11</sup>

إن رؤية العالم كما صاغها غولدمان "هي الكيفية التي ينظر فيه إلى واقع معين، أو هي النسق الفكري الذي يسبق عملية تحقق النتاج، و ليس المقصود بها نوايا المؤلف، بل الدلالة الموضوعية التي يكتسبها النتاج بمعزل عن رغبات المبدع، و أحيانا ضدها"<sup>12</sup>. و ضمن هذا المنظور الغولدماني فإن الدراسة التكوينية تقف على كلية العالم، و اتساقه أو العقل الكلي الذي يرى بأن "الحافز إلى

الإبداع هو حافز جماعي.. فتجربة الشخص الواحد قصيرة جدا، و بالتالي لا تستطيع خلق بنية عقلية من هذا النوع. هذه البنية لا يمكن أن تكون إلا نتيجة نشاط مشترك لعدد هام من الأفراد يوجدون في وضع متشابه"13.

و من هذا المنظور تتسع رؤيا العالم لتشمل كل القيم التي تقوم بربط الواقع بالإنتاج الإبداعي، في ما يعرف في التنظير التكويني بالتمائل، سواء أكانت هذه الرؤية دينية، أو اجتماعية، أدبية، وجودية، إيدولوجية، فلسفية... و من ثم فإن عملية الربط بين النص و السياق الخارجي في إطار الرؤية مهم من حيث أن "البنية الدلالية يمكن اعتبارها مبدأ منسقا، عاملا محمدا، يمثل كلا متماسكا للنص الفلسفي أو الأدبي"14.

تعبّر رؤيا العالم عن وعي طبقي يسعى إلى تحقيق مجموعة من التطلعات و العواطف و الأفكار بدرجات متفاوتة من الوضوح و التجانس.15 و هذا ما جعل البنوية التكوينية تستوعب أكثر الأعمال التي تحتوي الرؤية، فتعتبرها إبداعا عظيما، بخلاف الأعمال التي تفتقد هذه الركيزة التكوينية، فتجعلها في مصاف النتاج الذي لا يستحق الاهتمام و الدراسة، مقارنة بمثيلاتها من النصوص التي تتضمن أثرا اجتماعيا يركز على المقولات الذهنية التي تفتح على المجالات الايدولوجية و الجمالية و الأدبية..

و لذلك فالبنوية التكوينية لا تعتبر النص كيانا مغلقا في ذاته معزولا عن التاريخ، مثل البنوية الشكلية التي ترفض الواقع و تعزل السياق التاريخي، فتعتبرها "وحدة لغوية ساكنة غير متحركة في الزمان و المكان، و كأنها معزولة عن السياق التاريخي و الاجتماعي الذي نشأت فيه"16.

و في هذا الإطار، تقودنا رؤيا العالم، إلى الحديث عن مبدأي الفهم و التفسير، اللذين يرتكن إليهما المنهج التكويني في دراسته، انطلاقا من كونهما يوفقان بين داخل العمل وخارجه، فيحاول الباحث من خلالهما جمع البنيات الدالة التي تعبر عنها المجموعة في شكل سلوك و صور، فيغدو العمل بنية دينامية تتفاعل مع بني الواقع، فيندمجان في النسق العام الدال للعمل و الواقع، فيحيل كل واحد منهما إلى الآخر، في شكل بني أو مقولات ذهنية.

## 2 مرحلة الفهم:

هي مرحلة يحاول فيها الناقد أن يستخلص الدلالات من خلال دراسة بنى النص في إطاره المغلق، "و لن يتم ذلك إلا بعد تقطيع العمل إلى متواليات، و فقرات نصية دالة، ليصل إلى البنية الدالة الشاملة في عمله المحايث". و من ثمة فهي مرحلة مهمة للكشف عن الصورة الداخلية للنص، اعتمادا على تفكيك العمل ثم إعادة صياغته من أجل استخلاص الدلالة العميقة. و بعد استجلاء المعنى الذي يصل إليه القارئ الباحث ضمن ثنايا الخطاب، ينتقل في مرحلة بعدية إلى حقل أكثر اتساعا من الفهم. "بمعنى البحث عن المعنى البنيوي المحايث الموجود داخل المتن، أو داخل النص، أو داخل العمل، و إضاءة الخاصية الدلالية للأثر الثقافي. ثم إدماج هذه البنية الدالة في بنية أوسع قصد استخلاص رؤية العالم. و لن يتم ذلك إلا بتفسير الأثر الأدبي و الفني و الثقافي بمعطياته السياسية، و الاجتماعية، و الاقتصادية، و التاريخية، و الثقافية، و تحديد أنماط الوعي ( الوعي الزائف، و الوعي القائم، و الوعي الممكن). و هكذا يوفق لوسيان غولدمان بين علوم الطبيعة ( التفسير )، و علوم الإنسان ( الفهم ) و يوفق بين نظرية إميل دوركايم (التفسيرية)، و نظرية ماكس فيبر (التفهمية)، ضمن بوتقة منهجية واحدة.. و يعني هذا أن ليس هناك تعارض حقيقي بين منهج الفهم، و منهج التفسير".<sup>17</sup>

و هكذا يقتضي الفهم، الدراسة المحايثة بعيدا عن نوايا المؤلف و شعوره. و بالتالي التركيز على بنية النص، و وصف عناصره، و البحث في علاقاته الداخلية ( علاقة الجزء بالكل، و علاقة الكل بالجزء). و ذلك من أجل استخلاص البنية الدالة للعمل الأدبي.

و عليه، يعد الفهم، مفهوما إجرائيا يهتم بالإطار الداخلي للنص، بخلاف التفسير الذي يهتم بالمستوى الخارجي للنص. و لذلك فإن مرحلة الفهم، مرحلة مهمة في التحليل التكويني، إذ تعتبر ركيزة أساسية في عملية تفكيك العمل و تركيبه. و على الرغم من أن الفهم ينفصل عن التفسير أثناء الدراسة، من حيث كونه يهتم بالداخل، و التفسير يعني بالخارج، كما سبق و أن أشرنا إلى ذلك آنفا، إلا أنهما يقعان في البوتقة ذاتها، و كل واحد منهما يقود إلى الآخر. و لذلك فإن العلاقة التي تجمعهما، هي علاقة تكامل، و ترابط.

### 3 مرحلة التفسير:

يعد التفسير في عرف البنيوية التكوينية أعم و أشمل من الفهم، فهو بخلاف المرحلة السابقة يهتم بمقاربة النص من الخارج في ظل المعطيات التي تحكم فكر الجماعة، "كأن تتوقف عند ما هو سياسي و اجتماعي، اقتصادي، تاريخي و ثقافي، مع استبعاد العوامل النفسية التي تتنافى مع نظرية غولدمان الذي يركز على اللاشعور الجماعي، و لا تهتم باللاشعور الفردي كما هو عند فرويد".<sup>18</sup> و مما لا شك فيه فإن استدعاء العوامل الخارجية هي من تساعد على التفسير. التفسير الذي يقوم على التأويل الديالكتيكي، المادي، أو الجدلي. و من هذا المنطلق يعد التفسير مرحلة بعدية، تلي مرحلة الفهم. فالمعطيات الاجتماعية التي تعكسها المقولات الذهنية، تظهر في شكل بنى أدبية داخل النص، و التي تحتاج إلى الفهم، و هذا الفهم يحتاج إلى تفسير هذه الظواهر الاجتماعية. لذلك يعد هذا التكامل بين خطوتي الفهم و التفسير مهمة في القراءة التكوينية.

و هكذا يغدو النص بنية أصغر من مجموع البنى التي يوضحها الناقد، و يربطها بالعوامل الاجتماعية الواعية، ليضمنها في دائرة تحليله. و تجدر الإشارة إلى أن كل عملية يستند فيها الناقد التكويني إلى المعطيات الخارجية للنص، تعتبر إجراء تفسيرا، من منطلق أن النص معطى أدبي، و فني لا يكتمل إلا بالبنيات الاجتماعية التي أدت إلى تكوينه.

إن الدراسة المحايدة -وفق البنيوية التكوينية- لا تتم إلا بربط المقولات الذهنية بالبنية النصية التي تشبعت بها. و من هذا المنظور، ينتقل الباحث إلى التفسير بمجرد البدء في دراسة التماسك الداخلي للنص، و محاولة فهم نموذج البنيوي. فيتعزز الفهم بالتفسير، و التفسير بالفهم بشكل متبادل، إذ يجد الباحث نفسه مضطرا للعودة باستمرار للفهم، ثم التفسير، أو التفسير ثم الفهم. " و يعني هذا أنه من الضروري الانتقال إلى خطوة أساسية، و هي تفسير النص خارجيا، بعد فهمه داخليا، بالتركيز على العوامل التاريخية و الاجتماعية، و السياسية، و الثقافية. فالبنية الدالة ذات الطابع الفلسفي لا يمكن أن تبقى ساكنة، بل لابد من إدراجها ضمن بنية أكثر تطورا لمعرفة مولداتها، و أسباب تكوينها. و لذلك سميت بالبنوية التكوينية".<sup>19</sup>

### 4 الوعي الممكن:

يؤكد غولدمان على أهمية "الوعي الممكن" في النتاج الأدبي. فالأعمال الفنية العظيمة هي التي تتبنى وعيا نابعا من الانسجام، يتجسد جليا في العلاقة بين الواقع في شقه المتعلق بالجانب المعرفي الذي

ينتجه الأفراد، و يشكل إدراكا، و بين النضج الذي يصل إليه النص نتيجة انعكاس الخصوصية الفكرية التي يبيدها المجتمع في شكل قيم ذهنية، و عليه تحتل البنى الفكرية في إطارها الجمعي مكانة فنية، و ذهنية تزيد القلب الفني تكثيفا دلاليا و عمقا أدبيا، فيتوج الحقيقة بالتعبير عما تمتحه الجماعة من دراية فاحصة و موجهة، حتى و لو أبدت ممانعة، أو معارضة و شجبا داخل المجتمع. و ضمن هذا المعطى تبلور الأفكار في إطار التماثل بين رؤى الجماعة، و رؤى العمل الفني الذي يحاول أن يعكسها المؤلف في مؤلفه، من خلال الواقع الذي يتأسى به من منطلق مقولاته الذهنية. فتقاطع المقولات في نقطة النموذج الذهني الذي يشكل مشروعا يجمع بين بنيتي: الجماعة، و النص. و عليه فإن "رؤى العالم ليست أحداثا فردية، بل أحداثا اجتماعية.. و مركز هذا الفكر، مفهوم رؤية العالم الذي هو وجهة نظر متجانسة و موحدة لمجمل الواقع. و ليست وجهة النظر هذه، وجهة نظر متغيرة دائما للفرد، بل منظومة فكر لمجموعة من البشر يعيشون في الظروف الاقتصادية و الاجتماعية نفسها"<sup>20</sup>.

و قد تتحدد هذه البنيات من خلال سلوك الأفراد الذي يسهم في إذكاء الحياة الفكرية و الاجتماعية، و الاقتصادية، و الإيديولوجية... الخ "لكون الإنسان ليس جوهر فرد منعزل يكتفي بذاته، بل عنصرا جزئيا داخل كلية تتجاوزه.."<sup>21</sup> و في هذا الإطار تسعى الجماعة إلى التغيير، بعدما تدرك حقيقة الواقع الذي يحتاج في حقبة من الزمن إلى تأصيل قيمة أو فكرة تطرح بديلا، أو حلا يخلص هذا الواقع من مآزقه و نوائبه، و ذلك بعد تكوين رؤية ترتقي إلى ما يعرف برؤية العالم، اجتهدا منها، لتقديم صورة تتخطى المعطيات المطروحة، و تستعيز عنها بالبديل القائم على الوعي الممكن. الوعي القائم على الخبرة و الدراية، و الرؤى التي تؤسس مشروعا إيديولوجيا و فكريا، يجعل منه تاريخا، يتعدى الفكر الساذج عند الجماعة الساذجة.. و عليه " فإن كل مجموعة اجتماعية يسعى سلوكها إلى حل عدد كثير أو قليل من المشاكل، أي إلى تحويل الواقع إلى شكل أكثر تناسبا مع طموحاتها و احتياجاتها، انطلاقا من أن كل فرد ينتمي إلى عدد من المجموعات الاجتماعية، أي إلى عدد معين من الذوات الفوق- فردية"<sup>22</sup> فالوعي الممكن يصدر من الذات العارفة. و هو "وعي إيديولوجي مستقبلي يتجاوز جدلا الوعي القائم و الوعي الزائف المغلوط. وإذا كان الوعي

القائم هو وعي التكيف و المحافظة على الواقع، فإن الوعي الممكن هو وعي التغيير و التطوير، ويصبح الوعي الممكن في كلية العمل الأدبي المنسجم، رؤية للعالم وتصورا فلسفيا وإيديولوجيا للطبقة الاجتماعية<sup>23</sup>.

### 5 الوعي القائم:

يميز غولدمان في معرض حديثه عن المبادئ، بين الوعي الممكن، و الوعي القائم. فإذا كان الأول وعي مستقبلي تسعى الجماعة إلى تحقيقه، فإن الوعي القائم، معرفة بالواقع، و لكنه معرفة لا تتعدى إلى التغيير، و طرح البديل. فهو معرفة آنية، خاصة بالزمن الحاضر. و وفق هذا التحديد، يتفوق الوعي الممكن على القائم في كونه لا يكتفي بالمعرفة التي لا تسعى إلى التغيير، و إدراك اللحظة من دون التطلع إلى المستقبل. و من هنا يكمن قصور هذا الوعي من حيث أنه إدراك متحجر، ثابت، أي قائم على أساس اللحظة الراهنة. بعيدا عن أي استشراق، أو تأمل في الزمن القادم. إذن هو وعي بسيط ساذج، لا يرتقي أبدا إلى ما يرتقي إليه الوعي الممكن، فهو إحاطة وقتية لا تمتزج بالإيديولوجيا، و لا يخالطها الفكر الذي يذهب بها إلى إبدال الواقع المثقل بالمشكلات، و لذلك فهو تصور بسيط عن علاقة الجماعة بحياتها، و نشاطها الاجتماعي أو حتى في علاقتها مع عناصر الطبيعة<sup>24</sup>. و من هذا المنطلق يعتبر الوعي الممكن مرحلة تالية و متطورة بعد الوعي القائم.

### 6 التماثل:

يعد التماثل في البنوية التكوينية من المصطلحات التي تجعل المنهج ينأى بنفسه عن نظرية الانعكاس، فلقد تكفل هذا المصطلح بوضوح الحدود بين تجسيد الواقع تجسيديا سوسيولوجيا بكل حيثياته و وقائعه، و التي تنحو بالدراسة إلى المحاكاة بمفهومها الأرسطي، و بين تمثيل الوعي الجماعي في كنف علم الاجتماع المادي الذي يتبناه غولدمان في بنيويته. و عليه فإن الدراسة لا تصوغ الواقع بطريقة آلية، جوفاء، و لا تقدم الواقع باعتباره ظواهر اجتماعية، أو وقائع سوسيولوجية، " إنما هي بنيات عملية غير واعية، و من هنا فإن إدراكها لا يمكن أن يتحقق بواسطة دراسة النوايا الشعورية للمبدع، و لا بواسطة تحليل محايث، و إنما بواسطة بحث بنيوي، ذلك أن الفرد الذي يعبر عن الطبقة الاجتماعية، و عن رؤيتها للعالم، إنما يتصرف انطلاقا من هذه البنيات التي تسود المجموعة التي يعبر عنها"<sup>25</sup>. و هذا يحيلنا إلى الحديث عن ضرورة التماثل بين البنية الأدبية، و البنية

الاجتماعية بطريقة لا شعورية "فغولدمان لا يأخذ بمقولة رؤية العالم في معناها التقليدي، الذي يشبهها بتصور واع للعالم، تصور إرادي، أو نسق فكري يسبق عملية تحقق النتاج. إنَّ ما هو حاسم، ليس هو نوايا المؤلف، بل الدلالة الموضوعية التي اكتسبها النتاج، بمعزل عن رغبة مبدعه، وأحياناً ضد رغبته. و هكذا فالفرد قد يحقق رؤية العالم بصورة لا شعورية، ومن ثم قد ترسخ في ذهنه وربما ضد رغبته الخاصة. ويبقى كدليل حي على ذلك، ما يوجد من تفاوت بين النوايا الإبداعية للمبدع، و الأفكار التي يعبر عنها من خلال عمله الإبداعي".<sup>26</sup>

## 7 البنية الدالة:

تعد البنية الدالة كما حددها صاحبها غولدمان، ركيزة مهمة في عرف المنهج. " فهي المبدأ الأول في مسار التحليل البنيوي التكويني، كونها أشمل خطوات هذا المنهج، و المقولة الأساسية التي تتقاصها دراسته نحو استكشاف رؤية العالم، ذلك أن هذه البنية تنطلق من التصور الجمعي و الشمولي لمفهوم الرؤية، بداية من تضافر البعدين الفردي و الجماعي، حيث تتحدد الجماعة باعتبارها مجموعة أفراد تجاوزوا فرديتهم.."<sup>27</sup>. فالعمل الأدبي الجاد هو الذي يحمل في طياته بنيات دالة، تستطيع أن تعبر عن ذاتها، و عن المضامين الاجتماعية التي تستوعب البنى الفكرية العظيمة. و عليه فإن البنية الدالة تؤدي وظيفة التعبير عن رؤية العالم، و لا تتوقع على نفسها، و لا تكتفي بحدود النص، و إنما تتجاوزها إلى الكشف عن خبايا العالم في مظهره الإيديولوجي، و الفلسفي الذي يرتقي إلى درجة الوعي و العمق الفكري. فتتناظر البنية النصية (داخل)، بالبنية الاجتماعية (خارج). و لا ضير في أن تتجلى في قالب أسطوري، أو خرافي. مادام أنها تؤدي دلالة ذات صلة بالواقع.

تعيّننا البنية الدالة في الكشف عن المعنى، و إثارة المفهوم الذي يبيده المؤلف، عبر الرؤية التي تبني ضمن أفكار ذهنية جماعية.

إن انعكاس المقولة الذهنية في النص، في ما يعرف بالبنية الدالة، لا تتم بتلك السطحية التي قد يعتقدونها البعض، " بل هي أعقد من ذلك بكثير، حيث إن العمل الأدبي إذا تم اعتباره فضاء تعبيرياً عن رؤية العالم، فإن هذا لا يعني بحال من الأحوال، أن يتحول إلى وثيقة سياسية، أو منشور

إيديولوجي يصب فيه المؤلف مواقفه المختلفة، كاشفا عن نواياه الحقيقية و الواعية بصورة مباشرة، و معلنا عن مشاريعه و تصوراتهِ بصراحة و موضوعية. مما سيقضي حتما على الروح الإبداعية لذلك العمل، و يجرده من دلالاته الجمالية و صيغته الفنية التي يفترض فيه أن يتميز بها<sup>28</sup>.

و في هذا الإطار تتميز رؤية العالم بميزتين "هما: الشمولية، و الانسجام أو التماسك، و قد أعطى جمال شحيد مثلا على مبدأ الشمولية و الكلية بالعلاقة الوطيدة بين التفاحة و الشجرة. فدراسة التفاحة بحد ذاتها مهمة، و لكنها تصبح أهم و أشمل إن لم تنفصل عن الشجرة و المحيط الذي عاشت فيه، فلا يمكن فهم جزء إلا في إطار الكل، و يعرف غولدمان الشمولية بمثال استوحاه من دراسته لخواطر باسكال.. و قد أكد غولدمان أن رؤية العالم هي وجهة نظر موحدة و متماسكة."<sup>29</sup>

إن العمل الأدبي في نظر البنوية التكوينية. عمل كلي متماسك الأجزاء، فهو عبارة عن بنية دالة كلية. فإذا كانت "جميع الأشياء مسيبة و مسببة، مساعدة و مساعدة، مباشرة و غير مباشرة، و كانت جميعها مرتبطة برباط طبيعي غير محسوس، يربط أبعادها و أكثرها اختلافا، فإني أجزم باستحالة معرفة الأجزاء دون معرفة الكل، أو معرفة الكل دون معرفة الأجزاء بوجه خاص."<sup>30</sup> الأمر الذي يستوجب "تحليل النص بطريقة شمولية، وذلك بتحليل بنياته الصغرى و الكبرى، بدءا برصد عناصره الفونولوجية، و التركيبية و الدلالية و البلاغية و السردية و السيميولوجية، دون أن نضيف ما لا علاقة له بالنص."<sup>31</sup>

و إذا كانت النظرة الشمولية تجربة اجتماعية تتسم بالممارسة الجماعية. فإن الشكل هو استثمار في هذه النظرة داخل العمل الأدبي. انطلاقا من اندماج الجزء بالكل، و الكل بالجزء. فالمعرفة من المنظور التكويني لا تتم إلا وفق هذا الشكل الذي يهتم بهذا المبدأ. و من هنا "نؤكد على كلمة متجانس، و المعنى المشروع، هو الذي يسمح بإيجاد التجانس الكامل للعمل، إلا إذا كان هذا التجانس غير موجود أصلا، و في هذه الحالة.. لا يكون للكتاب المدروس قيمة فلسفية أو أدبية أساسية."<sup>32</sup>

## 8 البطل الإشكالي:

يعد البطل الإشكالي حلقة من حلقات المبادئ التي ارتكن إليها غولدمان في منهجه، بعدما سلّم المفهوم من أستاذه جورج لوكاتش، و بلوره لاحقا في معرض الحديث عن بطله الذي يختلف عن البطل الملحمي في كونه "لا يشعر بعزلة، أو يعيشها حتى في حال انكساره، لأنه يحافظ دوما على التوازن بين عالمه الذاتي الداخلي، و العالم الموضوعي الخارجي"<sup>33</sup>. فالبطل بالمفهوم الغولدماني يتيه بين الذات، و الفضاء الذي يحيط بالذات. فيرتبك في وسط يعانده، فيعيش حالة من الانفصال، و الاغتراب، فيحاول جاهدا أن يثبت نفسه، و يحقق قيمه، وسط عالم لا يسعفه. عالم مليء بالفوضى و المتناقضات المشبعة بالفساد الأخلاقي، و الضياع السياسي، و الفساد الرأسمالي، الذي تحكمه علاقات المال، و الجشع، و الاستغلال. فلا يستطيع أن يربط صلات سوية مع هذا العالم، و لا يقدر على أن يتصالح مع ذاته المملئ بالاختلال، فأنى له أن يتعايش مع العالم الخارجي بسلام.

و على هذا الأساس لا يحقق أفكاره المثالية في أرض لا تقدر الفرد، و لا قيم الفرد. فيتعدى به الأمر إلى عقد صلات مع الشيطان، فيعيش فصلة مع السماء، أو هي من تنفصل عنه، فتتخلى الآلهة عن بطلها المهمش. و تتركه في غياهب الضلال، و الضياع. و ضمن هذا الإطار، لا يتوانى غولدمان بتسمية بطله ب: **البطل الشيطاني**. و تبقى علة الوصول إلى الله هي الاتفاق مع الشيطان، "بوصفه الطريق الوحيد الذي يقود إلى الله"<sup>34</sup>

يتجسد دور هذا البطل في مسرحيات راسين- موضوع الدراسة- كما جاء في كتابات غولدمان، موصوفا بالتشاؤم، و السلبية (بطل سلمي)، لا يغير الواقع، و لا يستطيع أن يفعل شيئا يمكنه من ذلك، بعدما تعترض رغبات البطل عقبات تقف حائلا أمامه، فيصعب عليه مواجهتها. " فلا يوجد في هذا العالم أي مكان لحرية الإنسان و عمله، فالإنسان يمكنه في أقصى حد أن يعرف الكون، لكنه لا يستطيع أن يتصرف أو يغيره."<sup>35</sup> و أمام هذه النظرة المأساوية يغيب الله. أو يبحثون عنه فلا يجدونه. و في مثل هذه الوضعية، "وضعية الإنسان التراجيدي. لا يرى إلا منفذا واحدا، هو الموت."<sup>36</sup>

و هكذا حينما تنقطع صلة الفرد بالله، يعيش اغترابا، و هو ما يفقده القدرة على التآلف مع العالم الخارجي.

الخاتمة:

لقد طرحت البنيوية التكوينية هذه المبادئ، و جعلتها من مقومات المنهج الذي يسعى إلى تحليل العمل و قراءته قراءة جادة، انطلاقاً من ربط النص بالواقع السوسولوجي في مستوى المقولات الذهنية. و هكذا تأسس المنهج على أساس التكامل بين الفن و الوعي الناضج، و ربط الصلات بين البنية الجمالية الفنية، و البنية الاجتماعية. في محاولة منها لفك الوصال بينها و بين البنيوية اللسانية.

### قائمة المراجع:

- 1 أحمد سالم ولد أباه، البنيوية التكوينية و النقد العربي الحديث، المكتبة المصرية، مصر، 2005
- 2 أنور عبد الحميد الموسى، علم الاجتماع الأدبي منهج سوسولوجي في القراءة و النقد، دار النهضة العربية، بيروت، 2011
- 3 بيبير زيماء، النقد الاجتماعي "نحو علم اجتماع النص الأدبي"، ت عايدة لطفي، دار الفكر للدراسات و التوزيع، مصر، ط1، 1991
- 3 جابر عصفور، نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998
- 4 جميل حمداوي، البنيوية التكوينية بين النظرية و التطبيق، دار الريف للنشر و الطبع الإلكتروني، تطوان، المغرب، ط1، 2016
- 5 جورج لوكاتش، دراسات في الواقعية، ت نايف بلوز، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، ط3، 1985
- 6 حميد حميداني، النقد الروائي و الإيديولوجي، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1990، ص69
- 7 صدار نور الدين، مدخل إلى البنيوية التكوينية في القراءات النقدية العربية المعاصرة، ع 01، مجلد 38، 2009
- 8 صلاح فضل، في النقد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2007، ص35
- 9 عزام محمد، تحليل الخطاب على ضوء المناهج النقدية الحديثة، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ط1، 2003

- 10 لوسيان غولدمان، الإله الخفي، ت زبيدة القاضي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2010
- 11-العلوم الإنسانية و الفلسفة، ت يوسف الأنطكي، المجلس الأعلى للثقافة "المشروع القومي للثقافة"، مصر، 1996
- 12\_ البنيوية التكوينية و النقد الأدبي، ت محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، لبنان، 1986، ص48
- 13 محمد الأمين بجري، البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015، ص146
- قائمة المجالات:

1 عادل اسعيدى، عبد القادر بختي، مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان التكوينية، مجلة آفاق العلمية، جامعة تامنغست، ع04، 2019/07/23، ص506\_507

مواقع الأنترنت:

1 المحجوب المحجوبي، البنيوية و التكوينية و قراءة النص الأدبي، موقع ديوان العرب، نوفمبر، 2014 [www.diwanalarab.com](http://www.diwanalarab.com)

2 كريم مرشدي، الرؤية للعالم و البنيوية التكوينية، موقع ديوان العرب، 2017 [www.diwanalarab.com](http://www.diwanalarab.com)

3 جميل حمداوي، البنيوية التكوينية، صحيفة المثقف، ع5218، ديسمبر 2020، <https://www.almothaqaf.com>

### إحالات البحث:

1 محمد الأمين بجري، البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015، ص147.

2 صدار نور الدين، مدخل إلى البنيوية التكوينية في القراءات النقدية العربية المعاصرة، ع01، مجلد38، 2009، ص62

3 أنور عبد الحميد الموسى، علم الاجتماع الأدبي منهج سوسولوجي في القراءة و النقد، دار النهضة العربية، بيروت، 2011، ص236.

4 ينظر جابر عصفور، نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998، ص18، ص83

- 5 المحجوب المحجوبي، البنيوية و التكوينية و قراءة النص الأدبي، موقع ديوان العرب، نوفمبر، 2014  
www.diwalarab.com
- 6 المرجع نفسه
- 7 ينظر عزام محمد، تحليل الخطاب على ضوء المناهج النقدية الحداثية، اتحاد كتاب العرب، ط1، 2003، ص 20
- 8 لوسيان غولمان و آخرون، البنيوية التكوينية و النقد الأدبي، ت محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، لبنان، 1986، ص48
- 9 جورج لوكاتش، دراسات في الواقعية، ت نايف بلوز، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، ط3، 1985، ص25
- 10 لوسيان غولدمان و آخرون، البنيوية التكوينية و النقد الأدبي، ص 45
- 11 كريم مرشدي، الرؤية للعالم و البنيوية التكوينية، موقع ديوان العرب، 2017 www.diwalarab.com
- 12 أحمد سالم ولد أباه، البنيوية التكوينية و النقد العربي الحديث، المكتبة المصرية، مصر، 2005، ص79
- 13 كريم مرشدي، الرؤية للعالم و البنيوية التكوينية
- 14 بيبير زبما، النقد الاجتماعي "نحو علم اجتماع النص الأدبي"، ت عايدة لطفي، دار الفكر للدراسات و التوزيع، مصر، ط1، 1991، ص 52
- 15 ينظر صلاح فضل، في النقد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2007، ص35
- 16 أحمد سالم و لد أباه، البنيوية التكوينية و النقد العربي الحديث، ص 76
- 17 جميل حمداوي، البنيوية التكوينية بين النظرية و التطبيق، دار الريف للنشر و الطبع الإلكتروني، تطوان، المغرب، ط1، 2016، ص26
- 18 جميل حمداوي، البنيوية التكوينية، صحيفة المثقف، ع 5218، ديسمبر 2020،  
/https://www.almothaqaf.com
- 19 جميل حمداوي، البنيوية التكوينية بين النظرية و التطبيق، ص 28
- 20 لوسيان غولدمان، الإله الخفي، ت زبيدة القاضي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2010، ص 13
- 21 المرجع نفسه، ص 475
- 22 لوسيان غولدمان، العلوم الإنسانية و الفلسفة، ت يوسف الأنطكي، المجلس الأعلى للثقافة "المشروع القومي للثقافة"، مصر، 1996 ص 152
- 23 جميل حمداوي، البنيوية التكوينية بين النظرية و التطبيق، ص31
- 24 حميد حميداني، النقد الروائي و الإيديولوجي، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1، 1990، ص69
- 25 محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2003، ص 229
- 26 المحجوب المحجوبي، البنيوية التكوينية و قراءة النص الأدبي، مجلة ديوان العرب الإلكترونية، 4 نوفمبر 2014،  
https://www.diwalarab.com/

- 27 محمد الأمين بحري، البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، ص 146
- 28 المرجع نفسه، ص 146-147
- 29 عادل اسعدي، عبد القادر بختي، مرتكزات بنيوية لوسيان غولدمان التكوينية، مجلة آفاق العلمية، جامعة تامنغست، ع04، 2019/07/23، ص 506\_507
- 30 لوسيان غولدمان، الإله الخفي ص 30
- 31 جميل حمداوي، البنيوية التكوينية بين النظرية و التطبيق، ص 28
- 32 لوسيان غولدمان، الإله الخفي، 39-40
- 33 محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص 251
- 34 لوسيان غولدمان، الإله الخفي، ص 278
- 35 لوسيان غولدمان الإله الخفي، ص 277
- 36 المرجع نفسه، ص 278